

المنطقة العربية في مفترق الديمقراطية الأميركية الفوضوية

مخاوف من ازدواجية السياسات الأميركية وضعف تأثيرها على الأنظمة لدعم الحريات وحقوق الإنسان



الشرق الأوسط أكبر متضرر من وهم الديمقراطية

وقد تكون تدخلات واشنطن لدعم الاستقرار في عدد من الدول غير ناجحة بالنظر إلى سياسة دعم جل الأطراف خاصة التي تملك شعبية في دولها، حيث قد لا تعمد سياسات بايدين إذا استلهم نهج أوباما إلى انتهاج الإقصاء المباشر لأطراف سياسية صالح أطراف أخرى، حيث تخير دائماً الإدارة الديمقراطية طريقة التفاوض مع جل الأطراف والتي تؤدي في أغلب الأحيان لإطالة الأزمة دون حسمها.

ولا نعمل دول عربية كبيرة على الحسم الأميركي في المرحلة المقبلة خاصة دول الخليج بالنظر إلى عودة سياسة التفاوض الشامل وفرض سياسة ازدواجية التعامل مع الأصدقاء والأعداء وفق تغير المصالح.

وفي ظل توقع احتجاجات تدفع إليها ظروف اقتصادية واجتماعية خاصة في دول العالم التي تترجح نسبة كبيرة منها تحت ضغوط التعافي من تداعيات طفيفة لجائحة كورونا، تزيد مخاوف اندلاع الفوضى وتسلل الإرهاب إليها في ظل عجز متوقع لبعض الحكومات عن الإيفاء بمطالب جزء كبير من الشرائح الشعبية ويؤدي إلى تصادم مع الأنظمة، وهو ما نتوقعه تقارير المخابرات الأميركية.

لكن الخوف الأكبر قد يتمثل في احتمال معالجة أميركية للأزمات العربية بنفس طريقة تدخل إدارة أوباما في أضخم أزمات العالم العربي في التاريخ الحديث والمعروفة بـ"الربيع العربي" في 2011.

واتهامات بتحميل الشعوب العبء الأكبر للتكلفة الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمة دون آفاق تعويض عن الأضرار التي لحقت بالطبقات الضعيفة، ما قد يفجر غضبا قد يتحول إلى احتجاجات وأعمال شغب تجتاح دولا عبر المعمورة. وتبدو المنطقة المرشحة للاحتجاجات والفوضى هي منطقة العالم العربي، ولاسيما بلدان ما يسمى بـ"الربيع العربي" وأيضاً الدول الفقيرة ومحدودة الدخل، والتي يعاني مواطنوها من تقلص فرص التغيير الإيجابي وسط قفزة معدلات الفقر والبطالة والانقطاع المبكر عن التعليم ومؤشرات التضخم.

وتواجه معظم الحكومات العربية مخاطر حقيقية لاندلاع فوضى قد تهدم الاستقرار المهدهد بأزمة تمويل ضخمة غير مسبوقه لمتطلبات المواطنين، إذ أن حكومات كثيرة ما تزال تكافح الجائحة وتضطر لاستمرار الإغلاق الشامل لأكثر من عام، الأمر الذي يعيق انهيار مؤشرات التنمية وشبح الإفلاس، حيث قفزت مديونات بعض الدول إلى حدود 90 في المئة.

ومن المرجح أن يسير بايدين بنفس مسار الرئيس السابق باراك أوباما، خاصة على مستوى التدخل الانتقائي في دعم سياسات الحكومات من خلال التأثير الذي تملكه واشنطن على المؤسسات المالية العالمية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، وهو ما يزيد من نظرة منقلبة حول سياسات الولايات المتحدة في التعامل مع الدول العربية على أساس شروط تفاوض جديدة.

التواصل الأميركية اعتبرته بعض المنظمات الحقوقية تدخلا وتقديدا لحريات التعبير مهما كان مضمونها، ما يجعل البلاد مهما كانت المبررات تفقد المكانة الأولى في دعم الحقوق والحريات في العالم.

مصير المنطقة العربية

يعتقد محلو مركز الخليج للدراسات والبحوث أن ثمة احتمال أن تقدم الولايات المتحدة في المرحلة المقبلة أسوأ نموذج للديمقراطية غير المسؤولة والفوضوية التي تدعمها شخصيات تصل إلى درجة رئيس الولايات المتحدة، في إشارة إلى ترامب، المهدهد بالمحاكمة للتحريض على الفوضى والكراهية، وبالتالي قد تصدر الولايات المتحدة نموذج الفوضى للعالم علاج ما أسفده ترامب.

وثمة فرضية أخرى تطفو على السطح والمتعلقة بتقلص تدخلات واشنطن المباشرة في شؤون الدول خاصة في ما يتعلق بمواضيع الحقوق والحريات إلى حين علاج الصعود الذي ضرب صرح الديمقراطية الأميركية الداخلية حيث تفقد رمزيتها كمنصة للعالم الحر.

وتزيد المخاوف من أن بداية عهد بايدين التي تتصادف مع مرحلة غليان شديد في عدة دول حول العالم بسبب انتقادات شعبية لسياسات الحكومات في إدارة أزمة كورونا

الفوضى والشغب لمعارضة سياسات الحكومة.

ولعل آخر بوادرها ما بادرت به شركات منصات التواصل الاجتماعي من إغلاق حسابات ترامب على مواقع التواصل الاجتماعي وحسابات لشخصيات أخرى بدعوى التحريض على العنف والكراهية، وهو ما ينظر إليه البعض بعين الريبة والخوف من زيادة فرض قيود على حريات التعبير في العالم الافتراضي.

ومثل هذا الإجراء النادر قد يضر أيضا بسجل الولايات المتحدة في مجال الحريات التي لا تؤمن الأدبيات الأميركية أصلا بوجود سقف لها، وما قامت به منصات

يحرص الرؤساء الديمقراطيون عند دخولهم إلى البيت الأبيض على محاولة تنفيذ سياسات ليبرالية، وزيادة دعم نشر ثقافة الديمقراطية في العالم، لكن هذا المسار التقليدي قد يشهد انقلابا على العرف المتوارث يدفع إليه تغير أولويات الإدارة الأميركية الجديدة، وبالتالي فإن ازدواجية السياسات الأميركية وضعف تأثيرها على الأنظمة وخاصة في المنطقة العربية لدعم الحريات قد يزيدان من منسوب المخاوف من أن تلك الأجندة ربما تأتي بنتائج عكسية.

وحسب رصد لتقييم المخاطر أعده مركز الخليج العربي للدراسات والبحوث، فإن الأحداث التي عرفتها الولايات المتحدة منذ الانتخابات الرئاسية في نوفمبر الماضي من شأنها أن تقلص تدريجيا من رصيدها التاريخي في الممارسة الديمقراطية وتنسوه سمعتها كمنارة لنشر الديمقراطية في العالم ما يجعلها مثالا سيئا يحتذى به. ويعتقد خبراء المركز في تقرير حديث أن بتلك الوضعية قد تفقد الولايات المتحدة توصياتها لدعم الديمقراطية في العالم قيمتها في حال زيادة انغلات الوضع الأمني وزيادة التصادم بين قوات النظام والشعب المنقسم مع مخاوف لانجرار البلاد للقمع الداخلي والتي لطالما كانت بين أكثر المنتقدين له عالميا.

ولم تشهد الولايات المتحدة منذ إرسائها لدستورها محاولات تصرد شعبي على المؤسسات الدستورية وعلى القانون كما شهدته الأشهر الماضية مدفوعة بأحداث تصاعد الكراهية والتمييز العنصري المتبادل، والتي دفعت إليها أولا مجموعات شعبية من السود احتجوا صيف العام الماضي على مقتل مواطن أسود على يد شرطة من البيض وانتهت إلى أعمال شغب.

ولاحقا أشعلت خطابات ترامب بعد خسارته مجموعات اليمين المتصبة لتفوق العرق الأبيض، الذين اجتاحتوا مبنى الكونغرس معقل الديمقراطية الأميركية في رسالة غضب دفعت إليها هواجس اختطاف الولايات المتحدة من الأعراق المختلفة مقابل توقع تحول شريحة البيض الأميركيين من الأغلبية إلى أقلية بعد نحو عقدين فقط.

ورفعت الاحتجاجات التي قادها السود أو البيض في أكثر من مناسبة في الأشهر الأخيرة شعارات

لندن - شهدت السياسة الخارجية لجميع الإدارات الأميركية تشديدا على قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وضرورة ترويجها، كما قامت بإدخال بعض العناصر الجديدة على سياستها في المنطقة العربية، عندما خصصت قسما من المساعدات التي تقدمها إلى بعض دول المنطقة لمنظمات المجتمع المدني، لكن هذا التغيير لم يرق إلى مستوى سياسة واضحة المعالم.

بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، قام المحافظون الجدد في الولايات المتحدة بصياغة رؤية للسياسة الخارجية، فضلت استخدام القوة لفرض مؤسسات ديمقراطية على الأشخاص المضطهدين بحجة عدم قدرة الناس الخاضعين للحكم الدكتاتوري على تحديد مصيرهم، مما يعطي القوى الأجنبية التزاما أخلاقيا بتحسين مصيرهم عوضا عنهم.



وتستند الفكرة الإمبريالية الديمقراطية في الشرق الأوسط، الذي كان محور معظم النشاط العسكري الأميركي على مدى العقدين الماضيين، على الاقتناع بأن الناس في تلك المنطقة الشاسعة متجانسون ثقافيا وأن طبقاتهم الوسطى قوية سياسيا، وأن مواطنيهم يدركون وإجابتهم تجاه بعضهم البعض، وأن الأساس الاجتماعي والمؤسسي للديمقراطية موجود.

تصدع النموذج الأميركي

على إثر الأحداث التي شهدتها الولايات المتحدة في الفترة الماضية، دخل محلو مراكز الأبحاث في مناقشات حول ما إذا كانت الولايات المتحدة ستتسار الفوضى في العالم العربي بدل بسط مبادئ الديمقراطية التي تبناها.

وهذا السجال يأتي بينما تصب الترجيحات في أن إدارة الرئيس المنتخب جو بايدين ستركز على ترميم الديمقراطية الداخلية وردع مخاطر انقسامات حقيقية وتمرد على القانون والمؤسسات الدستورية في الداخل الأميركي.

تفعيل الدبلوماسية متعددة الأطراف أبرز اختبار تواجهه إدارة بايدين

وصف الخطوة الإسرائيلية بـ"العمل العنواني"، وحذر من أن إيران تحفظ بحق الرد.



إيران والصين أكبر تحديين لإدارة بايدين في عام 2021

وبينما ينظر العديد من المراقبين العسكريين إلى الخطوة الإسرائيلية، التي يتم اتخاذها بالتزامن مع زيادة في النشاط البحري الأميركي في الخليج، كإجراء احترازي بحت مع اقتراب إدارة ترامب من نهايتها، لا يمكن مطلقا استبعاد الأعمال العدائية بين إسرائيل في إيران، وهو احتمال من الأفضل أن تتعامل معه إدارة بايدين عندما تدرس خيارات سياسته الخارجية.

ويبدو الملف الإيراني مهماً إلى جانب الملف الصيني، حيث فتح ترامب جبهات حروب مع بكين بسبب هيمنتها الاقتصادية على العالم وهذا يشكل تحديا أيضا لبايدين. ويأمل حكام الصين الشيوعيون، على سبيل المثال، في انخراط بايدين في نوع من الصفقات التجارية التي لا معنى لها والمحجوبة للغاية من جانب سلفه الديمقراطي باراك أوباما.

وقد سبق من هذا الأسبوع، إن "الصواريخ الدقيقة إيرانية الصنع قادرة الآن على إصابة أهداف في أي مكان في إسرائيل، وكذلك في الضفة الغربية وغزة".

ووفق كوفلن، إن صح إعلان حزب الله ذلك يشكل تصعيدا خطيرا في قدرة إيران على مهاجمة إسرائيل، خاصة أنه من المفهوم أن الحرس الثوري الإيراني نشر أسلحة مماثلة في قواعد أقيمت حديثا في سوريا وتقع بالقرب من الحدود الإسرائيلية.

وحتى لو اتضح أن نصرالله يسعى من خلال هذا الادعاء إلى تعزيز مكانة حزب الله في لبنان بعد الانتقادات التي تلقها الجماعة بشأن انفجار مرفأ بيروت في أغسطس الماضي، فمن غير المرجح أن تتسامح إسرائيل مع وجود مثل هذه الأسلحة القوية القريبة للغاية من حدودها.

الجماعة حققت رغم كل الانتكاسات التي عانت منها طهران خلال العام الماضي زيادة كبيرة في عدد الصواريخ الموجهة لإسرائيل، سيكون أمر مبهجا لرجال الدين في إيران وهم يسعون لتقديم سجلهم في ضوء من الإيجابية قبل الانتخابات.

وقال نصرالله، الذي أعلن عن ذلك خلال مقابلة استمرت أربع ساعات في محطة تلفزيونية لبنانية موالية للحركة في



وعلى ذلك، فقد سلب نظام العقوبات الذي فرضته الولايات المتحدة الاقتصاد الإيراني قوته، إذ نفذ ترامب ذلك النظام بعد الانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، بدعوى أنه كان سوف يسمح لتهران في النهاية بامتلاك أسلحة نووية. ونتيجة لذلك، فقدت العملة المحلية أكثر من نصف قيمتها، في حين أن التضخم والبطالة تجاوزا حد 20 في المئة.

وواجه النظام الإيراني أيضا انتقادات داخلية شديدة بشأن طريقة تعامله مع جائحة فيروس كورونا، وتعرضت الحكومة لاتهامات بأنها كانت بطيئة للغاية في الاستجابة للتحدي الذي نطقه جائحة كوفيد - 19، وأنها سعت عمدا للتستر على عدد الوفيات الحقيقي.

ويقول كوفلن إنه من الواضح أن حكام إيران في أمس الحاجة إلى بعض الأخبار الجيدة التي يمكنهم نقلها إلى ناخبينهم المتشككين، مع قرب موعد الانتخابات الرئاسية الإيرانية المقررة في يونيو المقبل.

ولذلك، فإن إعلان حسن نصرالله، أمين عام حزب الله اللبناني، أن

سيظل هناك ترقب لخطوط السياسة الخارجية التي سيتم انتهاجها لاستخلاص الخطوط العريضة بشأن تعاملها مع ملفات صعبة ومتشعبة، لاسيما ما يتعلق بالملف الإيراني والتعامل مع الصين.

ويرى المحلل السياسي والباحث البريطاني كوني كوفلن، أحد كبار زملاء معهد جينستون الأميركي، ومحلل الشؤون الدفاعية بصحيفة ديلي تليغراف البريطانية، أن الكشف عن أن حزب الله ضاعف ترسانة الصواريخ المتقدمة الموجهة لإسرائيل على مدار العام الماضي هو تذكير في الوقت المناسب بأن إيران، إلى جانب الوكلاء العديدين الذين تدعمهم في جميع أنحاء الشرق الأوسط، تعد بتقديم أكبر التحديات الحرجة للسياسة الخارجية لجو بايدين هذا العام.

وأوضح كوفلن أنه في الكثير من النواحي، في ما يتعلق بإيران، كان 2020 عاما سيئا، فقد بدأ العام بالنسبة إليها بداية غير مواتية عندما نجحت إدارة ترامب في تنفيذ اغتيال قاسم سلیماني، القائد البارز لفيلق القدس التابع للحرس الثوري، وهو الرجل الذي كان مسؤولا بشكل أساسي عن نشر نفوذ إيران في أنحاء المنطقة بصفته أحد المقربين المؤثرين للمرشد الأعلى آية الله علي خامنئي.